

أضواء البيان

@ 277 @ وبالتحقيق الذي ذكرنا : تعلم أن الوعد يطلق في الخير والشر كما بينا ، وإنما شاع على ألسنة كثير من أهل التفسير ، من أن الوعد لا يستعمل إلا في الوعد بخير وأنه هو الذي لا يخلفه إلا ، وأما إن كان المتوعد به شراً ، فإنه وعيد وإيعاد . قالوا : إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤماً ، وعن الإيعاد كرماً ، وذكروا عن الأصمعي أنه قال : كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاءه عمرو بن عبيد فقال : يا أبا عمرو ، هل يخلف إلا الميعاد ؟ فقال : لا ، فذكر آية وعيد ، فقال له : أمن العجم أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤماً وعن الإيعاد كرماً ، أما سمعت قول الشاعر : % (ولا يرهب ابن العم والجار سطوتي % ولا انثنى عن سطوة المتهدد) % (فإنني وإن أوعدته أو وعدته % لمخلف إيعادي ومنجز موعدتي) % .

فيه نظر من وجهين . .

الأول : هو ما بيناه آنفاً من إطلاق الوعد في القرآن على التوعد بالنار ، والعذاب كقوله تعالى : { الذَّارُوعِدَهِمَا اللَّهُ السَّذِينَ كَفَرُوا } وقوله تعالى : { وَيَسْتَعِزُّوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ } لأن ظاهر الآية الذي لا يجوز العدول عنه ، ولن يخلف إلا وعده في حلول العذاب الذي يستعجلونك به بهم ، لأنه مقترن بقوله : { وَيَسْتَعِزُّوْنَكَ بِالْعَذَابِ } فتعلقه به هو الظاهر . .

الثاني : هو ما بينا أن ما أوعد إلا به الكفار لا يصح أن يخلفه بحال ، لأن ادعاء جواز إخلافه ، لأنه إيعاد وأن العرب تعد الرجوع عن الإيعاد كرماً يبطله أمران : .

الأول : أنه يلزمه جواز ألا يدخل النار كافر أصلاً ، لأن إيعادهم بإدخالهم النار مما زعموا أن الرجوع عنه كرم ، وهذا لا شك في بطلانه . .

الثاني : ما ذكرنا من الآيات الدالة : على أن لا يخلف ما أوعد به الكفار من العذاب كقوله : { قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ كُفْرًا تَعُدُّونَ مَا يُبَدَّلُ الْقَوَلُ لَدَيَّ } وقوله تعالى فيهم : { فَحَقَّ وَعِيدِ } وقوله فيهم : { فَحَقَّ عِقَابِ } ومعنى حق : وجب وثبت ، فلا وجه لانتفائه بحال ، كما أوضحناه هنا وفي غير هذا الموضع . .

قوله تعالى : { وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن اليوم عنده جل وعلا كألف سنة مما يعده خلقه ، وما ذكره هنا من كون اليوم عنده كألف سنة ، أشار إليه في سورة السجدة بقوله : {

يُذَبِّرُ الْآسُّ مَرَّ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي
يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ { وذكر في سورة المعارج أن
مقدار اليوم خمسون ألف سنة وذلك في قوله : { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ
إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } . فآية الحج ، وآية
السجدة متوافقتان تصدق كل واحدة منهما الأخرى ، وتماثلها في المعنى . وآية المعارج
تخالف طاهرهما لزيادتها عليهما بخمسين ضعفاً . وقد ذكرنا وجه الجمع بين هذه الآيات في
كتابنا : دفع إيهام الاضطراب ، عن آيات الكتاب . وسنذكره إن شاء الله